

سلسلة شرح الرسائل
١

شَرَحُ

الْجَائِزُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَخَلْدِهِ

رَبِّهِ الْإِسْلَامُ

مُؤَلَّفٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ

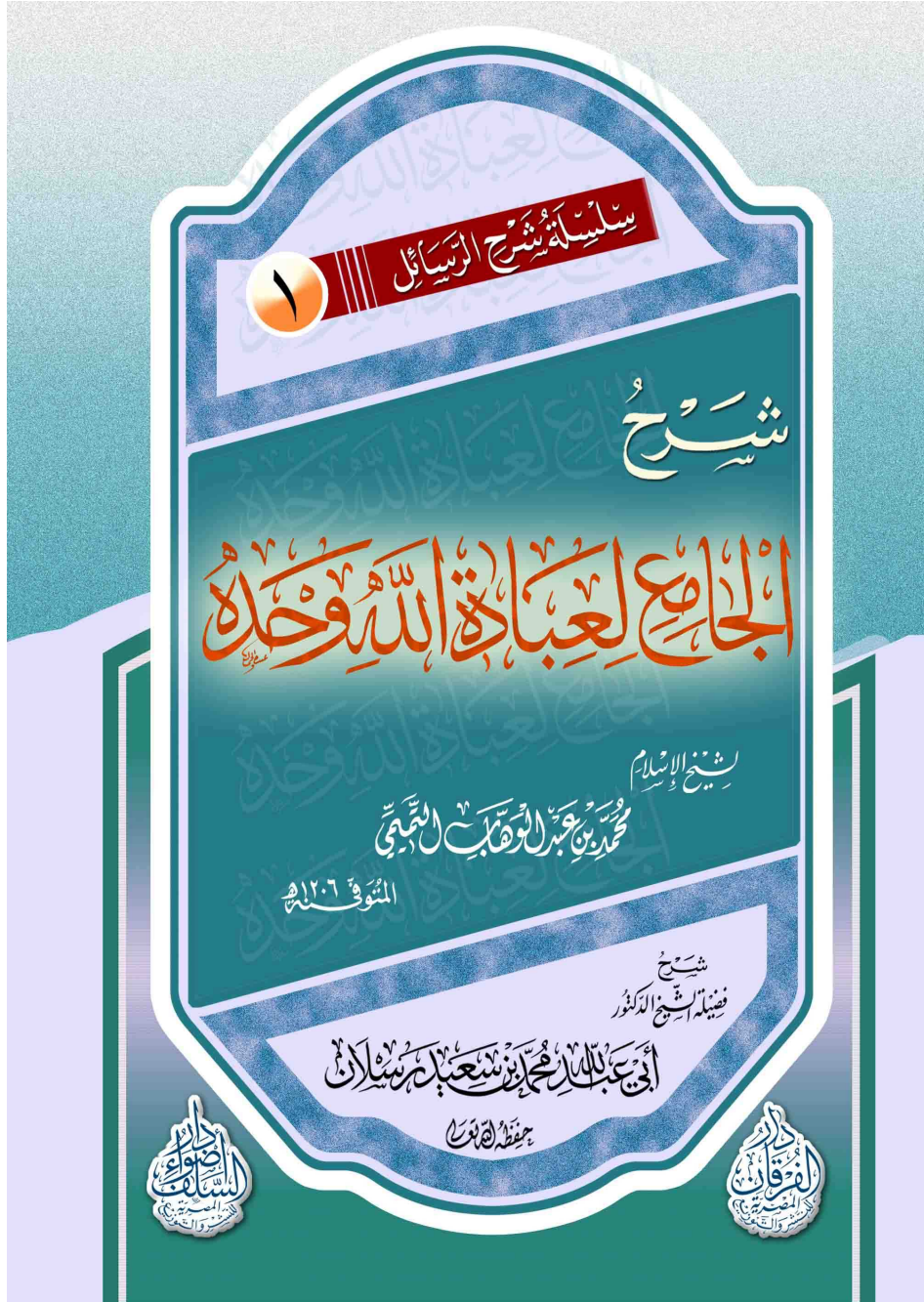
الْمَوْفَّقُ ١٤٠٦ هـ

شَرَحُ
صَيِّدُ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ

الْمَوْلَى الْإِسْلَامِيَّةُ لِمَوْلَى الْعَبْدِ الْغَرِيبِ

بِمَوْلَى الْإِسْلَامِ





المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

ﷺ
وآله وصحبه

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ
ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

ففي هذه المناسبة الطيبة^(١) التي أكرمنا الله -تبارك وتعالى- بها ستدارس بحول الله وقوته رسالة «الجامع لعبادة الله وحده»، للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي، المتوفى سنة ست وميتين وألف، وهي رسالة -على وجازتها- جامعة لأصول من التوحيد تقوم الديانة عليها، وترجع الملة إليها.

وفي هذا العصر الذي ماجت في الدنيا بالبدع موجاً، وأنصرف فيه كثير من الناس عن حقيقة التوحيد فوجاً فوجاً، تدعو الحاجة إلى مدارس رسائل التوحيد، ومعرفة حق العزيز الحميد على العبيد.

وفي خدمة هذه الرسالة وتقريب معانيها، وتمهيد السبيل للنظر فيها، ومعرفة مراميها؛ قيام بعض الحق الواجب في بيان الحق الواجب لله تعالى على خلقه، وحقه تعالى عليهم: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته المثلى، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مقرباً لمرضاته وهو الرحمن الرحيم.

(١) يوم الثالث عشر من ربيع الآخر لعام تسع وعشرين وأربعمئة وألف من هجرة نبينا محمد ﷺ، الموافق للتاسع عشر من الشهر الرابع لعام ثمانية وألفين من ميلاد المسيح عيسى بن مريم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم-.
وذلك بمسجد التوحيد بدار السلام، من أعمال محافظة القاهرة بمصر -حرسها الله وسائر بلاد المسلمين-.



وَأَنْ يَجْزِيَ خَيْرًا كُلَّ مَنْ أَعَانَ عَلَى طَبْعِهِ وَنَشْرِهِ، وَإِذَا عَتِيَ وَبَثَّه، وَكُلَّ مَنْ
نَظَرَ فِيهِ وَدَلَّ عَلَيْهِ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وكتب

أبو عبد الله

محمد بن سعيد بن رسلان

سبك الأحد

متن الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ:

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟

قُلْتُ: طَاعَتُهُ بِأَمْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى؟

قُلْتُ: مِنْ أَنْوَاعِهَا: الدُّعَاءُ.

وَالِاسْتِغَاثَةُ.

وَالِاسْتِغَاثَةُ.

وَذَبْحُ الْقُرْبَانِ.

وَالنَّذْرُ.

وَالْخَوْفُ.

وَالرَّجَاءُ.

وَالْتَوَكُّلُ.

وَالْإِنَابَةُ.

وَالْمَحَبَّةُ.

وَالْخَشْيَةُ.

وَالرَّغْبَةُ.

وَالرَّهْبَةُ.

وَالتَّأَلُّهُ.

وَالرُّكُوعُ.

وَالسُّجُودُ.

وَالْخُشُوعُ.

وَالتَّذَلُّ.

وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَلْمَسَ سَجْدَ اللَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:

١٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا

بَكْشَاطٍ كَثِيرٍ إِلَى أَلْمَاءٍ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَدَلِيلُ الْاِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥].

وَدَلِيلُ الْاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾

[الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾

[الإنسان: ٧].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[المائدة: ٢٣].

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ

يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الْمَحَبَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿[الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ التَّائِلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْهَكَرُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

[البقرة: ١٦٣].

وَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[الحج: ٧٧].

وَدَلِيلُ الْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩] وَنَحْوُهَا، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ
تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَجَلَ أَمْرِ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ؟

قِيلَ: تَوْحِيدُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَأَعْظَمُ نَهْيٍ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ: الشَّرْكُ بِهِ، وَهُوَ: أَنْ يَدْعَوْا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ
يَقْصِدَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبًّا وَإِلَهًا،
وَأَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ
مَا يُدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ الشَّرْكُ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْكَرَهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿[النساء: ١١٦]﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ
مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [١]

[١] ابتدأ المصنّف -رحمه الله تعالى- رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله تعالى، فهو مبدوء بالبسملة، واقتداءً برسول الله ﷺ، فإنه كان يبدأ كتبه بالبسملة، كما في صحيح البخاري في كتاب بدء الوحي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلٍ عَظِيمِ الرُّومِ...» الحديث، وأخرجه مسلمٌ أيضًا في صحيحه.

وأما حديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِ: بِاسْمِ اللَّهِ؛ فَهُوَ أَبْتَرٌ»^(١). فهو ضعيفٌ جدًا.

فابتدأ المصنّف ﷺ رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله وتسننًا بسنة رسول الله ﷺ.

والجارُّ والمجرورُ في «باسمِ الله»، متعلّقٌ بمَحذوفٍ فعلٍ مؤخَّرٍ مُناسبٍ للمَقامِ تقدِيرُهُ: بِاسْمِ اللَّهِ أَكْتُبُ، أو: بِاسْمِ اللَّهِ أُصَنِّفُ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْآنَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ لِأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَحْتَاجُ هَذَا عِنْدَ بَدْئِهِ بِالْبَسْمَلَةِ الْعَظِيمَةِ؛ فَيَدْرِي مَا يَقُولُ، وَيَنْوِي مَا يَأْتِي بِهِ.

الجارُّ والمجرورُ متعلّقٌ بمَحذوفٍ فعلٍ مؤخَّرٍ مُناسبٍ للمَقامِ تقدِيرُهُ هُنَا =

(١) أخرجه أحمد (٣٥٩/٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الألباني في إرواء الغليل (١): ضعيفٌ جدًا.

= في الرسالة «باسم الله أبدأ»، أو «باسم الله أصنّف»، وقُدِّرَ فعلاً لأنَّ الأصلَ في العملِ الأفعالُ لا الأسماءُ، وقُدِّرَ مؤخراً مع أنَّ القاعدةَ أنَّ مُتَعَلِّقَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ يُقَدَّرُ مُقَدِّمًا لفائدتين:

الأولى: للتبرُّكِ بالبِداءِ بِاسْمِ اللَّهِ ﷻ.

والثانية: لإفادةِ الحَصْرِ؛ لأنَّ تقديمَ ما حقُّهُ التأخيرُ يفيدُ الحَصَرَ ويُفيدُ القَصَرَ. وقُدِّرَ مُناسِبًا أو خاصًّا لأنه أدلُّ على المرادِ، فلو قلنا مثلاً عندما نريدُ أنْ نقرأَ كتابًا: «باسمِ اللَّهِ نبتدئ»، ما يُدرى حينئذٍ بماذا نبتدئ، ولكن «باسمِ اللَّهِ أقرأ» يَكُونُ أدلَّ على المرادِ الَّذي نبتدئ به، فُقَدِّرَ خاصًّا مناسبًا للمقام، فعند الشُّربِ «باسمِ اللَّهِ أشرب»، وعند الأكلِ «باسمِ اللَّهِ أكل»، ليكونَ أدلَّ على المرادِ الَّذي ابتدئ به.

«باسمِ اللَّهِ»: اللَّهُ: علَمٌ على الذاتِ المقدَّسةِ، معناه: ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقِهِ أجمعينَ، ومعناه: المألوه؛ أي: المعبودُ محبةً وتذلُّلاً وتعظيمًا.

الرَّحْمَنُ: اسمٌ من أسماءِ اللَّهِ تعالىِ المختصَّةِ بِهِ ﷻ لا يُطلقُ على غيره ولا يُسمَّى بِهِ سواه.

الرحمنُ: المتَّصفُ بالرحمةِ الواسعةِ، وصيغةُ (فعلان) تدلُّ على السَّعةِ وتدلُّ على الامتلاء. فالرحمنُ: المتَّصفُ بالرحمةِ الواسعةِ.

والرحيمُ: يُطلقُ على اللَّهِ تعالى وعلى غيره، ومعناه: ذو الرحمةِ الواسِلةِ. =

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١]،

= فالرحمن: دالٌّ على الصِّفَةِ القائمةِ بِهِ سُبْحَانَهُ.

والرحيم: دالٌّ عَلَى تَعَلُّقِهَا بِالرَّحْمِ، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وَلَمْ يَقُلْ: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحْمَنَ) فَإِذَنْ الرَّحْمَنُ دالٌّ عَلَى الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِالذَّاتِ، وَالرَّحِيمُ دالٌّ عَلَى تَعَلُّقِهَا بِالرَّحْمِ، فَالْأَوَّلُ؛ «الرحمن»: لِلْوَصْفِ، وَالثَّانِي؛ «الرحيم»: لِلْفِعْلِ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّحْمَنَ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، وَأَنَّ الرَّحِيمَ هُوَ الرَّاحِمُ بِرَحْمَتِهِ، فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّمَلَةِ.

وَالْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: «بِاسْمِ اللَّهِ»، لِلِاسْتِعَانَةِ، وَالِاسْتِعَانَةُ مُصَاحِبَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَوَّلِ الْفِعْلِ إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ تُفِيدُ مَعْنَى آخَرَ وَهُوَ التَّبَرُّكُ، إِذَا لَمْ نَحْمِلِ التَّبَرُّكَ عَلَى الْإِسْتِعَانَةِ، وَنَقُولُ كُلُّ مُسْتَعِينٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مُتَبَرِّكٌ بِهِ، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْبَاءَ تُفِيدُ الْبَرَكَاتِ الْعَظِيمَةَ.

وَقَدْ اخْتَارَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ الْبَاءَ لِلْمُصَاحَبَةِ، وَهُوَ مُعْتَزِلِيٌّ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ يَنْصَرُ مَذْهَبُهُ؛ وَالْمُعْتَزِلَةُ يَرَوْنَ اسْتِقْلَالَ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ؛ فَإِذَا كَانَ مُسْتَقْلَلًا بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ لِلِاسْتِعَانَةِ.

لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْبَاءَ لِلِاسْتِعَانَةِ الَّتِي تُصَاحِبُ الْفِعْلَ كُلَّهُ.

[١] الحمد: هُوَ ثَنَاءٌ بِاللِّسَانِ خَاصَّةً عَلَى الْجَمِيلِ الْإِخْتِيَارِيِّ مِنْ نِعْمَةٍ وَغَيْرِهَا، وَأَمَّا الشُّكْرُ: فَهُوَ الْبَذْلُ فِي مُقَابِلِ النِّعْمَةِ، فَالْحَمْدُ يَكُونُ بِاللِّسَانِ خَاصَّةً، وَأَمَّا الشُّكْرُ فَيَكُونُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ.

=

= **والحمد:** ثناء في مُقابلِ النعمِ وَغيرها من الصفاتِ الحَسَنَةِ كالعلمِ والقوةِ والحُسْنِ، تقول: حَمَدْتُ لفلانٍ شَجَاعَتَهُ، ولا تقول: شَكَرْتُ لَهُ شَجَاعَتَهُ.

الشُّكْرُ: لا يكونُ إلا في مُقابلِ النعمِ الواصِلَةِ. فبينهُما عمومٌ وخصوصٌ مُطلقان.

فَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ وَالتَّعَدِّيَةِ، وَهُوَ أَخْصُ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقَوْلِ.

وَالشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ حَيْثُ مَا يَقَعَانِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ.

وَأَلْفُ الْحَمْدِ: للاستغراقِ كما قَالَ الجمهورُ؛ أي: لاستغراقِ جميعِ المحامدِ؛ فالحامدُ كُلُّهَا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَحَقَّقَ بَعْضُهُمْ كَوْنَهَا صَالِحَةً للاستغراقِ وللعهدِ أيضًا.

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»:

الرَّبُّ: هُوَ الَّذِي يُرَبِّي عِبَادَهُ جَمِيعًا بِنِعَمِهِ وَيُغْذِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَيَخْلُقُهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، خَلَقَهُمْ فِي بُطُونِ أُمَهَاتِهِمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظِلْمَاتِ ثَلَاثٍ، وَهُوَ الَّذِي يُرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ.

فَالرَّبُّ: هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالْمَلِكِ وَالتَّدْبِيرِ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ، وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلإِصْلَاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ صَحِيحٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

=

وَصَلَّى اللّٰهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ [١]:

= **العالمين:** جمعُ عالم، والعالمون: مُلحقٌ بجمعِ المذكرِ السالم، والعالم: كلُّ ما سوى الله، وسُموا عالمًا؛ لأنَّهم علَّم على خالقهم ومالكهم ومُدبرهم، ففي كلِّ شيء آيةٌ لله تدلُّ على أنه واحد.

فالعالم: كلُّ موجودٍ سوى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والعالمُ جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، والعوالمُ أصنافُ المخلوقاتِ في السمواتِ والأرضِ، وفي البرِّ والبحرِ، وكلُّ قرنٍ منها وجيلٌ يُسمَّى عالمًا أيضًا.

[١] الصلاةُ على النبي **ﷺ** أصحُّ ما قيلَ فيها: أنَّها من الله تعالى: الشَّاءُ عليه **ﷺ** في الملائِ الأعلَى؛ كما ثبتَ ذلك في صحيح البخاري عن أبي العالية ^(١)، ومن العباد: الصلاةُ على النبي **ﷺ**، طلبُ الشَّاءِ عليه **ﷺ** من الله -جلَّ وعلا-. وتبارك: هذا لا يكونُ إلا الله -تبارك وتعالى- وأمَّا هاهنا «صَلَّى الله عليه وسلم وبارك»، وبارك: من البركة، والبركة كثرةُ الخيرِ ونماؤه.

وعلى آله: الأُلُّ لها إطلاقان: عامٌّ وخاصٌّ، العامُّ: هم كلُّ تابعٍ بإحسانٍ للنبي **ﷺ** ويدخلُ فيهم الصحابةُ **رضي الله عنهم** دُخولاً أوَّلِيًّا، فلو تبعناه **ﷺ** فنحنُ =

(١) أخرجه البخاري تعليقًا، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:
فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَامِعُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ؟
قُلْتُ: طَاعَتُهُ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ [١].

= من آله عند الإطلاق العام.

ولها إطلاق خاص: وهو المراد هاهنا، وهم بنو هاشم، وقيل: بنو المطلب،
فَإِذَا وَرَدَتْ مُطْلَقَةً: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ دَخَلَ فِي آلِهِ كُلُّ مَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ»: والصحبُ والصحابةُ والأصحابُ مفردُها: صاحبٌ،
وهو كُلُّ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مؤمناً به وماتَ على ذلك، وإن تَخَلَّلَتْهُ رَدَّةٌ عَلَى
الصَّحِيحِ، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «نُخْبَةِ الْفِكَرِ»؛ وَلَوْ تَخَلَّلَتْهُ
رَدَّةٌ عَلَى الصَّحِيحِ، كَطُليحَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ تَنَبَّأَ وَأَرَادَ غَزَا مَدِينَةَ
النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ وَحْسَنِ إِسْلَامِهِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى جَاءَهُ
الْيَقِينُ فِي سَاحَةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ
وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

[١] عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وَالْعِبَادَةُ
كَمَا عَرَّفَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: هِيَ كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ
= مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

= وزاد بعضهم قِيدًا فقال: والبراءة مما يُنافي ذلك ويضادُّه؛ فكلُّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة عبادة لله ربِّ العالمين.

فالصَّلاة، والزَّكاة، والصَّيَّام، والحَجُّ، وصِدْقُ الحَدِيث، وأداء الأمانة، وبرُّ الوالدين، وصِلَةُ الرَّحِم، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجِّهَادُ لِلْكَفَّارِ والمنافقين، والإحسان إلى الجَّارِ واليتيم والمساكين وابن السَّبِيلِ والمملوك من الآدميين والبهائم، والدُّعاء، والذِّكْر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبُّ الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعيمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وعليه؛ فالعبادة في ديننا الحنيف تشمل حركة الحياة كلها، وتتضمَّن كلَّ شئون الحياة، والموفقون الملهَّمون الفالِحون المفلِحون تتحوَّل العادات عندهم بالرعاية والنظر والنية إلى عبادات؛ وأمَّا المفرطون الذاهلون الغافلون فإنهم تتحوَّل عندهم العبادات إلى عادات، فيُصِلُّ المرء منهم ما شاء ربُّنا أن يُصِلِّي وكأنَّه ما صنع شيئًا.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- مُعرِّفًا العبادة بتعريف جامع عظيم: «طاعته بامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ». والعبادة في الأصل مأخوذة من التعبُّد، يقال: طريق مُعبَّد؛ إذا كان قد ذلَّلته الأقدام ووطَّئته؛ وكذلك العابد مع مَعْبُودِهِ يكون مُذَلَّلًا بِمُطْلَقِ الذَّلِّ في مُطْلَقِ الحُبِّ وهي العبادة.

=

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى؟ [١].

= وَلَهَا قُطْبَانِ عَلَيْهِمَا تَدَوُّرٌ؛ وَهُمَا: كِمَالُ الْحُبِّ فِي كِمَالِ الذَّلِّ، كَمَا قَالَ
الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ:
وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَّا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرٌ رُسُولُهُ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وَعَلَيْهِمَا؛ أَي: عَلَى الْحُبِّ وَالذَّلِّ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ كِمَالُ الْحُبِّ فِي كِمَالِ
الذَّلِّ؛ هِيَ غَايَةُ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الذَّلِّ؛ فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَلَمْ يَذَلَّ لَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ
عَابِدًا، وَمَنْ ذَلَّ لَهُ وَلَمْ يَحِبَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَابِدًا حَتَّى يَجْمَعَ الْأَمْرَيْنِ؛ فَإِذَا أَتَى
بِالْمَحَبَّةِ التَّامَةِ الْكَامِلَةِ وَالذَّلِّ الْكَامِلِ التَّامِّ فَهُوَ الْعَابِدُ حَقًّا.

لَمَّا ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- التَّعْرِيفَ الْجَامِعَ
الْمَخْتَصَرَ لِلْعِبَادَةِ، أوردَ عَلَى نَفْسِهِ سُؤَالَ فِي أَنْوَاعِ تِلْكَ الْعِبَادَةِ، وَالْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ
كَثِيرَةٌ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ
مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ.

[١] أَجَابَ الشَّيْخُ **رَحِمَهُ اللَّهُ** عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِذِكْرِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَهَذِهِ الْعِبَادَاتُ -مِمَّا ذَكَرَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ- اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَلَا يَحِلُّ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى- أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَاتِ سَرَدًا ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِذِكْرِ أَدَلِّيَّتِهَا.

قُلْتُ: مِنْ أَنْوَاعِهَا: الدُّعَاءُ [١].

[١] قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «قُلْتُ: مِنْ أَنْوَاعِهَا: الدُّعَاءُ....»

ثُمَّ قَالَ: «وَدَلِيلُ الدُّعَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنّ الْمَسْجِدَ لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].»

بَدَأَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِذِكْرِ الدُّعَاءِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ أَي: أُجِبْ دُعَاءَكُمْ وَأَعْفُ عَنْكُمْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، يَتَعَطَّيُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ وَحْدِي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، أَذَلَّةٌ صَاغِرِينَ.

وَقَالَ رحمته الله: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ أَبْلَغُ بَلَاغَةً مِنْ ذَلِكَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يَصَحَّ وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ مَا يُرَوَّى عَنْهُ رحمته الله: «الدُّعَاءُ مَنْحُ الْعِبَادَةِ»^(٢)، فَهَذَا الصَّحِيحُ يُغْنِي. وَضَمِيرُ الْفَصْلِ هَاهُنَا -بَارِزًا ظَاهِرًا- يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَعْلَمُهُ مَنْ لَهُ أَدْنَى تَذَوُّقٍ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ الشَّرِيفَةِ. =

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٦٧/٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٤٧٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٦٩)، وَابْنُ حِبَّانَ (موارد-

٢٣٩٦) مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رحمته الله، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٤٠٧).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٧١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رحمته الله، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ

(٣٠٠٣).

= «الدعاء هو العبادة»، فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ بشيءٍ لا يقدرُ عليه إلا الله فهو مشركٌ كافرٌ سواءً كان المدعو حياً أو ميتاً، وَمَنْ دَعَا حَيًّا بما يقدرُ عليه، مثل: أن يقول: يَا فُلَانُ أَطْعِمْنِي، يَا فُلَانُ اسْقِنِي، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَمَنْ دَعَا مَيِّتاً أو غائباً بمثلِ هذا فإنه مُشركٌ؛ لأنَّ الميتَ أو الغائبَ لا يُمكنُ أن يقومَ بمثلِ هذا؛ فدعاؤه إيَّاه يدلُّ على أنه يعتقدُ أنَّ له تصرفاً في الكونِ فيكونُ بذلك مُشركاً.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْمَسَ سَجْدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، فكيف يُصرفُ الدعاء لغيرِ الله من الأمواتِ والأشجارِ والأحجارِ والجنِّ والشیاطينِ والغائبين؟! كلُّ ذلك لا يجوزُ وكلُّ ذلك شركٌ بالله ربِّ العالمين.

والدعاء نوعان:

دعاء مسألة: وهو دعاؤه سبحانه بجلبِ المنفعةِ ودفعِ المضرَّةِ.

ودعاء عبادة: وهو دعاء الله تعالى امتثالاً لأمره.

فدعاء المسألة: وهو دعاء الطلبِ، طلبِ الحاجاتِ من الله ربِّ العالمين، هو عبادةٌ إذا كان من العبدِ لربه لأنه يتضمنُ الافتقارَ إلى الله ربِّ العالمين واللُّجوءَ إليه، ويتضمنُ اعتقاداً أنه قادرٌ كريمٌ وأنه واسعُ الفضلِ والرحمةِ، وَيَجُوزُ إِذَا صَدَرَ مِنَ الْعَبْدِ لِمِثْلِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ إِذَا كَانَ الْمَدْعُوُّ يَعْقِلُ الدُّعَاءَ وَيَقْدِرُ عَلَى الْإِجَابَةِ؛ فدعاء الحيِّ الحاضرِ القادرِ والاستعانةُ به في الشيءِ المقدورِ عليه لا بأس به ولا يُعتبرُ داخلاً في الشركِ.

= فلو قُلْتَ لأخيك الحَاضِر: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَعْنِي عَلَى قَطْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، أَفَادَهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ بَازٍ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ-؛ فَهَذَا دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ.

وَأَمَّا دُعَاءُ الْعِبَادَةِ: فَإِنْ يَتَعَبَّدُ الدَّاعِي بِالدُّعَاءِ لِلْمَدْعُوِّ طَلَبًا لثَوَابِهِ وَخَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَرَفَهُ لغيرِ اللَّهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى-: «وَكُلُّ دُعَاءٍ عِبَادَةٍ مُسْتَلَزِمٌ لِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، وَكُلُّ دُعَاءٍ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمِّنٌ لِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ».

وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ -رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى- نَوْعَيْنِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فَقَالَ: «وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالِاسْتِغَاثَةُ»، ثُمَّ ذَكَرَ دَلِيلَ كُلِّ مِنْهُمَا فَقَالَ: «وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٥]، وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٩]».

وَالِاسْتِعَانَةُ [١].

[١] **أَمَّا الِاسْتِعَانَةُ:** فَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُصَرَفَ لغيره -جَلَّ وَعَلَا-، فَالِاسْتِعَانَةُ: هِيَ طَلْبُ الْعَوْنِ، وَالسَّيْنُ وَالتَّاءُ لِلطَّلَبِ.

وَالِاسْتِعَانَةُ أَنْوَاعٌ:*** فالأول: الاستعانة بالله:**

وهي المتضمنة لِكَمَالِ الذَّلِّ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ وَاعْتِقَادِ كَفَايَتِهِ، وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَدَلِيلُهَا قَوْلُهُ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وَمَا وَجْهُ الْاِخْتِصَاصِ هَاهُنَا؟ وَجْهُ الْاِخْتِصَاصِ: تَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ «إِيَّاكَ»، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ هُوَ الْقَصْرُ وَالْحَصْرُ الَّذِي يَفِيدُ الْاِخْتِصَاصَ. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، يَعْنِي لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نَصْرَفُ الْعِبَادَةَ لِسِوَاكَ.

وكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي الْاِسْتِعَانَةِ؛ الْاِسْتِعَانَةُ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

- **الأول:** الخضوع والتذلل لله.

- **والثاني:** الثقة بالله تعالى.

- **الثالث:** الاعتماد على الله سبحانه.

=

= فهذه لا تكونُ إلا لله، فمن استعانَ بغيرِ اللَّهِ مُحَقِّقًا هذه المعاني فقد أشركَ معَ اللَّهِ غيره.

* الثاني من أقسام الاستعانة: الاستعانةُ بالمخلوقِ على أمرٍ يقدرُ عليه:

وهذه على حسبِ المُستعانِ عليه؛ فإن كانتَ على برٍّ ومَعروفٍ فهي جائزةٌ للمُستعينِ مَشْرُوعَةٌ للمُعِينِ، وإن كانتَ على إثمٍ فهي حَرَامٌ على المُستعينِ وعلى المُعِينِ، وإن كانتَ على مُباحٍ فهي جائزةٌ للمُستعينِ والمُعِينِ، وقد يُثابُّ المُعِينُ على ذلك ثوابَ الإحسانِ إلى الغيرِ.

* القسمُ الثالثُ من أقسام الاستعانة: الاستعانةُ بمخلوقٍ حيٍّ حاضِرٍ غيرِ

قادرٍ:

فهذه لغوٌ لا طائلَ تحته؛ كما يقولُ الذي يُعاني الغرقَ لا يُحسنُ السباحةَ لكسِيحٍ عاجزٍ على البرِّ: إِنِّي أَسْتَعِينُ بِكَ فَأَعْنِي حَتَّى لَا أَغْرَقَ، فهذا لغوٌ لا طائلَ تحته.

* والرَّابِعُ من أقسام الاستعانة: هي الاستعانةُ بالأمواتِ مُطلقًا وبالأحياءِ

على أمرٍ غائبٍ لا يقدرُونَ على مُباشَرَتِهِ:

فهذا شركٌ، الاستعانةُ بالأمواتِ مُطلقًا شركٌ، والاستعانةُ بالأحياءِ على أمرٍ غائبٍ لا يقدرُونَ على مُباشَرَتِهِ شركٌ.

* الخَامِسُ من أقسامها: الاستعانةُ بالأعمالِ والأحوالِ المحبوبةِ إلى اللَّهِ

تَعَالَى:

=

= وهذه مشروعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]،
 فيستعين الإنسان بالأعمال وبالأحوال المحبوبة إلى الله - جلَّ وعلا-، فهذه
 مشروعة قد ندب إليها، وأمر بها.

النوع الأول: فيه قول النبي ﷺ: «إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).
 الاستعانة التي لا تكون إلا لله ولا تكون إلا بالله ينبغي ألا تُصرف إلا لله فإذا
 صُرفت لغير الله فهي شرك كما مرَّ ذكر ذلك.

(١) أخرجه أحمد (٣٩٣/١)، والترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني
 في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

والاستغاثَةُ [١].

[١] الاستغاثَةُ: هي طلبُ العَوثِ وهو الإنقاذُ مِنَ الشدةِ والهلاكِ؛ وهي

أنواعٌ:

* **الأوَّلُ: الاستغاثَةُ باللهِ ﷻ:** وهذه مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ وَمِنْ أَكْمَلِ الأَعْمَالِ، قَالَ رَبُّنَا -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، أي: متتابعين.

* **والثَّانِي: الاستغاثَةُ بالأَمْوَاتِ أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ غَيْرِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ:** فهذا شِرْكٌ؛ لَأَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُوْلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ فَيَجْعَلُ لَهُمْ حَظًّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَآسَفَاهُ!!

* **الثَّالِثُ مِنْ أَقْسَامِ الاستغاثَةِ: الاستغاثَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْعَالَمِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ:** فهذا جائِزٌ، كَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

* **الرَّابِعُ مِنْ أَنْوَاعِ الاستغاثَةِ: الاستغاثَةُ بِحَيٍّ غَيْرِ قَادِرٍ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لَهُ قُوَّةَ خَفِيَّةٍ:** كَمَنْ يَسْتَغِيثُ بِمَشْلُولٍ لِيَنْقِذَهُ مِنَ الْغَرَقِ، فَهَذَا -كَمَا مَرَّ فِي الاستعانة- لَغْوٌ وَسُخْرِيَّةٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الاستعانةِ والاستغاثَةِ: أَنَّ الاستعانةَ: هي طلبُ العَوْنِ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَالاستغاثَةُ: طلبُ إِزَالَةِ الشدةِ، وَالاثْنَانِ تَتَطَلَّبَانِ كَمَا لَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ مَعَ اعْتِقَادِ كَفَايَتِهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

وَذَبْحُ الْقُرْبَانِ [١].

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ **رَحِمَهُ اللَّهُ** النَّوْعَ الرَّابِعَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فَقَالَ: «وَذَبْحُ الْقُرْبَانِ» ... ثُمَّ ذَكَرَ دَلِيلَهُ فَقَالَ: «وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]﴾».

فَقَرَنَ سُبْحَانَهُ النَّسْكَ -وَهُوَ الذَّبْحُ- بِالصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ فَالنَّسْكُ عِبَادَةٌ، وَالذَّبْحُ: إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدَّمِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ.
وَالذَّبَائِحُ أَنْوَاعٌ: مَشْرُوعَةٌ، وَمُبَاحَةٌ، وَمُحَرَّمَةٌ.

* **فَأَمَّا الذَّبَائِحُ الْمَشْرُوعَةُ:** فَالضَّحَايَا، وَالْهَدَايَا، وَالنَّذُورُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْعَقِيقَةُ، وَالْوَلَاءُ، وَالْإِكْرَامُ لِلضَّيْفِ، وَصَدَقَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْفِدْيَةُ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

* **وَمُبَاحَةٌ:** كَالذَّبَائِحِ لِلْأَكْلِ، وَكَذَبْحِ الْجَزَارِ لِلْبَيْعِ.

* **وَمُحَرَّمَةٌ:** كَالذَّبْحِ لِلْأَصْنَامِ، وَكَالذَّبْحِ لِلْجِنِّ، وَكَالذَّبْحِ لِلْقَبَابِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْقُبُورِ، وَكَالذَّبْحِ فِي حَفَلَاتِ الزَّارِ، وَلِلْبَيْرِ الْجَدِيدَةِ قَبْلَ الشُّرْبِ مِنْ مَائِهَا، وَعِنْدَ دُخُولِ الْعُرُوسِينَ الْبَيْتَ مِنْ أَجْلِ الْجَنِّ لِدَفْعِهِمْ؛ وَهَذَا كُلُّهُ شَرِكٌ أَكْبَرُ.

وَمِنْ الذَّبَائِحِ الْمُحَرَّمَةِ: الذَّبْحُ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ يُفْضَلُ الذَّبْحُ فِيهِ اعْتِقَادًا، وَكَذَلِكَ الذَّبْحُ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْقَبْرِ وَعِنْدَ مَكَانٍ كَانَ يُعْبَدُ فِيهِ غَيْرُ اللَّهِ؛ فَكُلُّ هَذَا ذَبْحٌ مُحَرَّمٌ.

=

وَالنَّذْرُ [١].

= والذبح الذي يقع عبادةً بأن يقصد به الذابح تعظيم المذبح له والتدلل له والتقرب إليه، هذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرف ذلك لغير الله تعالى شرك أكبر؛ فيا ليت قومي يعلمون!

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ. ﴿١﴾

وقال ﷺ كما في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والإمام مسلم، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللَّهِ» (١).

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ: «النَّذْر»، وَذَكَرَ دَلِيلُهُ وَقَالَ: «وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]».

وَالنَّذْرُ: هُوَ أَنْ يُلْزِمَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ شَيْئًا غَيْرَ لَازِمٍ بِأَصْلِ الشَّرْعِ؛ فَيُلْزَمُ نَفْسَهُ بِصَدَقَةٍ أَوْ بِصِيَامٍ أَوْ بِصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، إِمَّا بِتَعْلِيْقِ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ابْتِدَاءً، وَالْجَمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ مَكْرُوهٌ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ بِتَحْرِيمِهِ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ وَجَبَ الْوَفَاءُ بِهِ.

قَالَ ﷺ وَقَدْ نَهَى عَنِ النَّذْرِ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرِجُ بِهِ مَنْ =

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨)، وأحمد (١٠٨/١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

= البَخِيلُ^(١). أخرجه البخاريُّ ومُسلمٌ، وأبو داودَ، والنسائيُّ، وابنُ ماجه. ومع ذلك فإن نَذَرَ الإنسان طاعةً لله وَجِبَ عَلَيْهِ فعلُهَا؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ»^(٢). أخرجه البخاريُّ وأبو داودَ والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ ماجه.

والنذرُ عبادةٌ فيجبُ إخلاصُها لله ربِّ العالمينَ كسائرِ ألوانِ العباداتِ؛ فَمَنْ نَذَرَ لغيرِ اللَّهِ كالأَمْواتِ والقُبُورِ والأَصْريحِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وهذا نَذَرٌ لَا يَجُوزُ الوفاءُ بِهِ، مَنْ نَذَرَ لغيرِ اللَّهِ، مَنْ نَذَرَ نَذَرًا لَا يَجُوزُ؛ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفِي بِنَذْرِهِ؛ قَالَ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِيهِ»^(٣). فَمَنْ نَذَرَ لِلْقُبُورِ أَوْ لِلْأَصْريحِ فهذا نَذَرٌ مَعْصِيَةٌ وَشِرْكٌ؛ فَلَا يَجُوزُ الوفاءُ بِهِ، أَمَّا مَنْ نَذَرَ لِلَّهِ فَإِنَّهُ يَجِبُ الوفاءُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وشروطُ النذرِ ستةٌ؛ هي:

- ١- أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ.
- ٢- وَأَنْ يَكُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَا فِي مَعْصِيَتِهِ.
- ٣- وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا يُطِيقُهُ الْإِنْسَانُ لَا فِيهَا لَا يُطِيقُهُ.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠٨)، ومُسلم (١٦٣٩)، وأبو داود (٢٣٨٧)، والنسائي (١٥/٧) - (١٦)، وابن ماجه (٢١٢٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
 (٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) وأبو داود (٣٢٨٩)، والنسائي (١٧/٧)، والترمذي (١٥٢٦)، وابن ماجه (٢١٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.
 (٣) التخريج السابق نفسه.

وَالْخَوْفُ [١].

= ٤- وأن يكون فيما يملكه لا فيما لا يملكه؛ كأن يقول: لئن من الله عليّ بكذا وكذا - من أمور الخير - لأتصدقن بملك أخي جميعاً؛ فهذا لا يجوز؛ إذ من شروط النذر: أن يكون فيما يملكه لا فيما لا يملكه.

٥- وألا يكون في موضع كان يُعبد فيه غير الله، أو ذريعة لعبادة غير الله.

٦- أن يكون النذر على يقين أن ذلك لا يؤثر شيئاً في حصول ما نذر لأجله، ألا يعتقد تأثير النذر في حصول ما نذر من أجله، بل يجعل الأمر كله لله، وأن الله - جلّت قدرته - على كل شيء قدير، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد.

[١] ثم ذكر الشيخ الإمام رحمته الله النوع السادس من أنواع العبادة فقال: «والخوف»، ثم ذكر دليله فقال: «ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ﴾ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾».

الخوف من عبادات القلوب، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، والمراد: الخوف الذي هو عبادة؛ وهو الخوف الذي يكون معه تعظيم ومحبة للمخوف؛ وهو خوف السرّ، وهو لا يجوز إلا لله تعالى؛ فخوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له؛ فهذا لا يكون إلا لله، وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

=

= **وَحَوْفُ السِّرِّ**: كَانَ يَخَافُ صَاحِبَ قَبْرِ أَوْ وَلِيًّا بَعِيدًا عَنْهُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ وَلَكِنْ يَخَافُهُ مَخَافَةً سِرًّا؛ فَهَذَا أَيْضًا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ وَأَنَّهُ شِرْكٌ؛ فَالَّذِينَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ وَتَدُّ النَّاحِيَةِ، فُلَانٌ مِنَ الْأَوْتَادِ، وَهُوَ وَتَدُّ هَذِهِ النَّاحِيَةِ؛ فَيَبِيتُ الرَّجُلُ عَلَى الذَّنْبِ لَا يُبَالِي؛ يَتَهَتَّكُ، فَإِذَا مَرَّ عَلَيْهِ مُصْبِحًا وَقَدْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ عِنْدَ الْجُهْلَاءِ شُرُوطُ الْوِلَايَةِ؛ فَتَنَزَلَ مُخَاطَبُهُ حَتَّى كَسَا لِحِيَّتَهُ! ثُمَّ أَحْدَثَ عَلَى نَفْسِهِ قُبْلًا وَدُبْرًا! وَهُوَ لَا يَعْيِي وَلَا يَدْرِي وَلَا يُدْرِكُ! فَإِذَا مَرَّ بِهِ خَافَهُ فِي سِرِّهِ؛ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ سَيُكَاشِفُهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ فِي لَيْلَتِهِ؛ فَهَذَا شِرْكٌ، وَهَذَا اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَهُوَ عَالِمُ الشَّهَادَةِ ﷻ.

وَأَمَّا الْخَوْفُ الطَّبْعِيُّ: كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبْعِ، وَمِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْحَيَّةِ، وَمِنَ الْغَرَقِ؛ فَهَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ﴿فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

وَأَمَّا إِذَا خَافَ مِنْ إِنْسَانٍ غَيْرِهِ فَتَرَكَ وَاجِبًا أَوْ ارْتَكَبَ مُحَرَّمًا خَوْفًا مِنْهُ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الْإِكْرَاهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَكْرَهَ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الْإِكْرَاهِ؛ فَهَذَا الْخَوْفُ مَعْصِيَةٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أَي: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ وَيُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، فَاضْبِطْ مَعْنَى الْآيَةِ، لَا يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، يَعْنِي: لَا يُوقِعُ الْخَوْفَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ؛ وَإِنَّمَا يُخَوِّفُكُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَيُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ وَيُعْظِمُهُمْ فِي صُدُورِكُمْ وَيُكَبِّرُهُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ؛ فَأَمَرْنَا رَبَّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَنَهَانَا عَنِ السُّوْأَى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَذَكَرَ أَنَّ الْخَوْفَ شَرْطٌ لَصِحَّةِ الْإِيمَانِ ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ =

= والخوف من الله تعالى يكون محمودًا وغير محمود؛ تأمل! الخوف من الله تعالى يكون محمودًا ويكون غير محمود! يكون محمودًا إذا ما كانت الغاية أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات؛ فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن الفؤاد وغلب عليه الفرح بنعمة الله والرجاء لثوابه تعالى.

وأما الخوف من الله خوفًا غير محمود فهو الذي يحمل العبد على اليأس من رحمة الله والقنوط من روح الله، وحينئذ يتمادى بقوة يأسه في المعصية؛ فهذا لا يأتي به مسلم؛ لا ييأس من روح الله مسلم، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]؛ لا ييأس من عطاء الله وفرج الله مسلم؛ فالخوف المتبج لا الخوف المدمر هو المحمود وهو المطلوب وهو عبادة الله - جل وعلا -.

فاجتهد في تحرير خوفك وتأمل فيه: أطبعي هو أم شرعي؟ فإن كان شرعيًا فحرره؛ أشرك هو أم معصية؟ فحرره وأخلص متوكلًا على الله، وأما إن كان خوفًا وراثيًا طبعيًا فإنه لا شيء فيه واسأل ربك العافية وتوكل عليه، واعلم أنك إذا غلبت فليس لأن العدو قد غلب؛ ولكن لأن النصير قد تولى، إذا غلبت فاعلم أنك لم تغلب لأن العدو قد ظهر عليك وغلبك؛ ولكن لأن الولي أعرض عنك ولم يتوكل؛ فافزع إليه.

قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١/ ٥٤-٥٥): «الإنسان إذا لم يخف من الله اتبع هواه، ولا سيما إذا كان طالبًا ما لم يحصل له، فإن نفسه تبقى =

وَالرَّجَاءُ [١].

= طَالِبَةً لِمَا تَسْتَرِيحُ بِهِ، وَتَدْفَعُ بِهِ الْغَمَّ، وَالْحُزْنَ عَنْهَا، وَلَيْسَ عِنْدَهَا مِنْ ذِكْرِ
اللهِ وَعِبَادَتِهِ مَا تَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ وَبِهِ؛ فَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ مِنْ فِعْلِ الْفَوَاحِشِ،
وَشُرْبِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَوْلِ الزُّورِ.

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الْإِمَامُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النَّوعَ السَّابِعَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ
فَقَالَ: «وَالرَّجَاءُ»، وَذَكَرَ دَلِيلَهُ فَقَالَ: «وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]».

وَالرَّجَاءُ: طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي أَمْرٍ قَرِيبِ الْمَنَالِ، وَقَدْ يَكُونُ بَعِيدَ الْمَنَالِ تَنْزِيلًا لَهُ
مَنْزِلَةُ الْقَرِيبِ، الرَّجَاءُ الْمُتَضَمِّنُ لِلذَّلِّ وَالْخُضُوعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، لَا يَكُونُ لغيرِ
اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَإِنْ كَانَ الرَّجَاءُ الَّذِي تَضَمَّنَ الذَّلَّ وَالْخُضُوعَ مَصْرُوفًا
لغيرِ اللَّهِ كَانَ شِرْكًَا: إِمَّا أَصْغَرَ وَإِمَّا أَكْبَرَ؛ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ الرَّاجِي،
وَتَأْمِيلِ الْخَيْرِ فِيهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يَجُوزُ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُرْجَى إِلَّا اللهُ
-جَلَّ وَعَلَا- فِيهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-.

وَالرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَجَا ثَوَابَهَا عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ
تَابَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ وَرَجَا قَبُولَ تَوْبَتِهِ؛ فَأَمَّا الرَّجَاءُ بِمَا عَمِلَ فَهُوَ غُرُورٌ وَتَمَنٍّ مَذْمُومٌ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالتَّمَنِّي: أَنَّ الرَّجَاءَ يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجَهْدِ وَحُسْنِ
التَّوَكُّلِ، وَالتَّمَنِّي يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ؛ فَتَجِدُهُ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ وَهُوَ غَارِقٌ
فِي الْمَعْصِيَةِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ أَوْ زِيَادَةٍ، وَأَمَّا الرَّاجِي فَإِنَّهُ يَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ مُتَوَكِّلًا
عَلَى رَبِّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، يُقْلَعُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ فَيَتَعَدُّ عَنِ الذَّنْبِ وَيَأْتِي بِشُرُوطٍ =

والتَّوَكُّلُ [١].

= التَّوْبَةُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَقْطَعُ رَجَاهُ فَيَمْنُ لَا يَقْطَعُ مِنْهُ الرَّجَاءُ؛ أَمَلًا وَرَاجِيًا أَنْ يَعْفُوَ عَنِ الزَّلَّةِ، وَأَنْ يَجْبُرَ الْكُسْرَةَ، وَأَنْ يُعِينَ عَلَى الطَّاعَةِ.

وَأَمَّا الرَّجَاءُ فِي الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ كَأَنْ تَرْجُوَ مِنْ شَخْصٍ أَنْ يُعْطِيَكَ مَالًا أَوْ يَسَاعِدَكَ فِيمَا يَقْدُرُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَلَكِنْ لَا تَرْجُ مَخْلُوقًا فِيمَا لَا يَقْدُرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ؛ فَالَّذِينَ يَرْجُونَ الْأَمْوَاتَ وَالْغَائِبِينَ وَالْجَنِّ وَالشَّيَاطِينَ؛ هَذَا رَجَاءُ الْعِبَادَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُصْرَفَ هَذَا لِغَيْرِ اللَّهِ وَمَنْ صَرَفَهُ جَاءَ بِالشَّرِكِ الْأَكْبَرِ، نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النُّوعَ الثَّامِنَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ فَقَالَ: «وَالْتَّوَكُّلُ» وَذَكَرَ دَلِيلَهُ فَقَالَ: «وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]».

والتوكل على الله سبحانه: هو الاعتمادُ عليه سبحانه كفايةً وحسباً في جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾، لَا عَلَى غَيْرِهِ؛ فَقَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ وَحَقُّهُ التَّأْخِيرُ، وَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ أَسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِبِ الْإِخْتِصَاصِ وَالْحَصْرِ وَالْقَصْرِ؛ تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ لَا عَلَى غَيْرِهِ.

حقيقة التوكل: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا.

=

= **فالتوكلُ:** اعتقادٌ، واعتمادٌ، وعملٌ.

وهو أنواعُ:

الأولُ: التوكلُ على الله، وهو من تمام الإيمان وعَلَامَاتِ صِدْقِهِ، وهو واجبٌ لا يتمُّ الإيمانُ إلَّا به.

والثاني: توكلُ السرِّ: بأن يعتمدَ على ميتٍ في جلبِ منفعةٍ أو دفعِ مَضَرَّةٍ وهذا شركٌ أكبرٌ؛ لأنه لا يقعُ إلَّا ممنُ يعتقدُ أن لهذا تصرفًا سرِّيًّا في الكونِ، فيُعْطِيهِ قَدْرًا مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ.

والثالثُ: التوكلُ على الغيرِ فيما يتصرَّفُ فيه الغيرُ مع الشعورِ بعلوِّ مرتبتهِ وانحطاطِ مرتبةِ المتوكلِ عنه، مثل: أن يعتمدَ عليه في حُصولِ المَعاشِ ونَحْوِهِ؛ فهذا نوعٌ من الشركِ الأصغرِ؛ لقوَّةِ تعلقِ القلبِ به واعتمادهِ عليه، وأمَّا اعتمادهُ عليه على أنه سببٌ؛ وأنَّ اللهَ تعالى هو الذي قدَّرَ ذلكَ وأجرأه على يديه، فإنَّ ذلكَ لا بأسَ به، إذا كانَ لمن يعتمدُ عليه أثرٌ صحيحٌ في حُصولِ ذلكَ.

التوكلُ عبادةٌ لا تجوزُ إلا لله -جَلَّ وعَلا- وإلا على الله ربِّ العالمينَ، وأمَّا التَّوَكُّلُ فيما يقدرُ عليه المخلوقُ فهو جائزٌ، والاعتمادُ على السببِ شركٌ وتركُ السببِ قدحٌ في الشريعةِ، والكمالُ: أن تتوكلَ على الله -جَلَّ وعَلا- وأن تأخذَ بالأسبابِ؛ حينئذٍ تُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ، وتُحَقِّقُ الاتِّبَاعَ للنبيِّ ﷺ فتأتي بالحُسْنَيْنِ: بتجريدِ التَّوْحِيدِ للعزیزِ المجید، وتَجْرِيدِ المَتَابَعَةِ للمَعْصُومِ ﷺ.

وَالْإِنَابَةُ [١].

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النُّوعَ التَّاسِعَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فَقَالَ: «وَالْإِنَابَةُ» وَذَكَرَ دَلِيلَهَا فَقَالَ: «وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]». هُنَا: الْإِسْتِسْلَامُ وَالْإِنْقِيَادُ لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ بِالرِّضَا بِذَلِكَ بَاطِنًا، وَتَسْلِيمِ الْقَلْبِ بَاطِنًا، وَبِالتَّزَامِ الْجَوَارِحِ بِذَلِكَ ظَاهِرًا، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وَالْإِنَابَةُ: الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ مَعْنَى التَّوْبَةِ؛ إِلَّا أَنَّ الْإِنَابَةَ أَرْقُ مِنَ التَّوْبَةِ وَالطَّفُّ؛ لِمَا تُشْعِرُ بِهِ مِنَ الْاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَلَا تَكُونُ الْإِنَابَةُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى؛ فَالْإِنَابَةُ أَعْلَى مِنَ التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ: إِقْلَاعُ وَنَدَمٌ وَعَزْمٌ عَلَى الْإِعْدَادِ، وَالْإِنَابَةُ: فِيهَا الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ وَتَزِيدُ مَعْنَى آخَرَ: وَهُوَ الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَاتِ.

* وَالْإِنَابَةُ قِسْمَانِ:

- **إِنَابَةٌ لِرَبُّيَّتِهِ تَعَالَى،** وَهَذِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَمِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، فَهَذَا عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ دَاعٍ أَصَابَهُ ضُرٌّ، وَهَذِهِ الْإِنَابَةُ لَا تَسْتَلِزُّمُ الْإِسْلَامَ، بَلْ تُجَامِعُ الشَّرْكَ وَالْكَفَرَ أَحْيَانًا.

=

وَالْمَحَبَّةُ [١].

= - **وإِنبَةُ الْأُلُوْهِيَّةِ:** وهي إنبَةُ أَوْلِيَائِهِ وهي إنبَةُ الْعُبُودِيَّةِ وإِنبَةُ الْمَحَبَّةِ، وتتضمنُ أربعةَ أمورٍ: مَحَبَّتُهُ، والخُضُوعَ لَهُ، والإِقْبَالَ عَلَيْهِ، والإِعْرَاضَ عَمَّا سِوَاهُ.

فَالْمُنِيبُ إِلَى اللَّهِ: الْمُسْرِعُ إِلَى مَرْضَاتِهِ، الرَّاجِعُ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، الْمُتَقَدِّمُ إِلَى مَحَابِّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُنِيبِينَ لِأُلُوْهِتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النَّوْعَ الْعَاشَرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ؛ فَقَالَ: «وَالْمَحَبَّةُ» وَذَكَرَ دَلِيلَهَا فَقَالَ: «وَدَلِيلُ الْمَحَبَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]».

وَالْمَحَبَّةُ قِسْمَانِ:

* **مَحَبَّةُ عِبَادَةٍ:** وهي التي يكونُ معها ذُلٌّ وخُضُوعٌ لِلْمَحْبُوبِ، وهذه لا تكونُ إِلَّا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

* **الْمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ:** كَمَحَبَّةِ الْمَالِ، وَالزَّوْجَةِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ، وَالْدَّارِ، وَالسَّكَنِ، وَالْأَرْضِ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ؛ وَهَذِهِ لَا تُعَدُّ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَ معها ذُلٌّ، وَلَيْسَ معها خُضُوعٌ، وَلَكِنْ لَا يُقَدَّمُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَحَابِّ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ =

= كَسَادَهَا وَمَسْكَنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [التوبة: ٢٤].

وَالْمَحَبَّةُ لَهَا مَقَامٌ عَظِيمٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَامْتِثَالُ الْأَمْرِ بِكَمَالِ الذَّلِّ لَا يَكُونُ عِبَادَةً إِلَّا بِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/ ٥٨٨): «لَا تُحَدُّ الْمَحَبَّةُ بِحَدٍّ أَوْضَحَ مِنْهَا، فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً، فَحُدُّهَا وَجُودُهَا، وَلَا تُوصَفُ الْمَحَبَّةُ بِوَصْفٍ أَظْهَرَ مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِي أَسْبَابِهَا وَمَوْجِبَاتِهَا وَعِلَامَاتِهَا وَشَوَاهِدِهَا وَثَمَرَاتِهَا وَأَحْكَامِهَا، فَحُدُودُهَا وَرُسُومُهَا دَارَتْ عَلَى هَذِهِ السِّتَةِ، وَتَنَوَّعَتْ بِهِمُ الْعِبَارَاتُ وَكَثُرَتِ الْإِشَارَاتُ بِحَسَبِ إِدْرَاكِ الشَّخْصِ وَمَقَامِهِ وَحَالِهِ وَمَلِكِهِ لِلْعِبَادَةِ».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/ ٥٨٥)، وَقَدْ ذَكَرَ «مَنْزِلَةَ الْمَحَبَّةِ»: «هِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا شَخَّصَ الْعَامِلُونَ، وَإِلَى عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ، وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرُوحٍ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوَّةُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ».

وهي الْحَيَاةُ الَّتِي مِنْ حُرْمَتِهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ =

= فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بَحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ
الْأَسْقَامِ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعِيشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ.

وهي رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَى خَلَتْ مِنْهَا
فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ.

تَحْمَلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ بِالْغِيهَا،
وَتُوصِلُهُمْ إِلَى مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا، وَتُبَوِّئُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ
الصَّدَقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا.

وهي مطايا القومِ الَّتِي مَسَرَّاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَى الْحَبِيبِ، وَطَرِيقُهُمْ
الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبْلِغُهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمِ الْأُولَى مِنْ قَرِيبٍ.
تَاللَّهِ؛ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ إِذْ لَمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ
أَوْفَرُ نَصِيبٍ.

وَقَدْ قَضَى اللَّهُ يَوْمَ قَدَرٍ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَحُكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ: أَنْ
المرءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُحِبِّينَ سَابِغَةٍ.

تَاللَّهِ؛ لَقَدْ سَبَقَ الْقَوْمُ السُّعَاةَ وَهُمْ عَلَى ظُهُورِ الْفُرُشِ نَائِمُونَ، وَلَقَدْ
تَقَدَّمُوا الرِّكَبَ بِمَرَا حَلٍ وَهُمْ فِي سِيرِهِمْ وَاقِفُونَ.

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَلِّلِ تَمْشِي رُؤِيدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ

وَلَمَّا كَثُرَ الْمَدْعُونَ لِلْمَحَبَّةِ طُوبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيْتَةِ عَلَى صَحَّةِ الدَّعْوَى - فُلُو
يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَا دَعَى الْخَلِيٍّ حُرْقَةَ الشَّجِي -، فَتَنَوَّعَ الْمَدْعُونَ فِي الشُّهُودِ.

= فقول: لَا تَثْبُتْ هَذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا بَيِّنَةً: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فَتَأَخَّرَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، وَثَبَّتَ أَتْبَاعُ الْحَبِيبِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّهُ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَحُبَّ شَيْءٍ يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّهِ؛
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَالْخَشْيَةُ [١].

[١] ثُمَّ ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ النُّوعَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَقَالَ: «الْخَشْيَةُ»، وَذَكَرَ دَلِيلَهَا فَقَالَ: «وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]».

وَالْخَشْيَةُ: هِيَ الْخَوْفُ الْمَبْنِي عَلَى الْعِلْمِ بِعَظَمَةِ مَنْ يَخْشَاهُ، الْمَبْنِي عَلَى الْعِلْمِ بِكَمَالِ سُلْطَانِهِ، وَالْخَشْيَةُ أَخْصُّ مِنَ الْخَوْفِ.

وَيَتَضَحُّ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ بِالْمَثَالِ؛ إِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ لَا تَدْرِي هَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَيْكَ أَوْ لَا؟ فَهَذَا خَوْفٌ، وَإِذَا خِفْتَ مِنْ شَخْصٍ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْكَ فَهَذِهِ خَشْيَةٌ؛ فَالْخَشْيَةُ: خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعْظِيمٌ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، فَلَا تُقَدِّمُ خَشْيَةَ الْمَخْلُوقِ عَلَى خَشْيَةِ الْخَالِقِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، فَالْخَشْيَةُ مِنْ عِبَادَاتِ الْقَلْبِ وَيَنْبَغِي أَلَّا تُصَرَفَ إِلَّا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- الْخَشْيَةُ الَّتِي هِيَ خَوْفٌ مَشُوبٌ بِالتَّعْظِيمِ، الْمَبْنِي عَلَى الْعِلْمِ بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- قَادِرٌ عَلَيْكَ وَأَنَّ نَاصِيَتَكَ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ؛ هَذِهِ الْخَشْيَةُ يَنْبَغِي أَلَّا تُصَرَفَ إِلَّا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَهِيَ مِنْ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ، وَمِنْ أَجْلِ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ.

عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ مَطْلُوبَ رَبِّهِ وَمُرَادَهُ مِنْهُ؛ لِيَحَقِّقَ الْغَرَضَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ الْعِبَادَةَ لِكُلِّ =

= عابدٌ على ما يهواه ويُريدُه؛ بل جعل العبادَةَ تَوْقِيفِيَّةً؛ فلا عِبَادَةَ إِلَّا بِنَصِّ،
العبادةُ مَوْقُوفَةٌ عندَ حُدُودِ النِّصِّ؛ قالَ اللهُ قالَ رَسولُهُ ﷺ، وما سِوَى ذَلِكَ
لا يَكُونُ عِبَادَةً بِحَالٍ.

فَالْخَشْيَةُ عِبَادَةٌ مِنْ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ، وَلِلْقُلُوبِ عِبَادَاتُهَا، كَمَا لِللِّسَانِ
عِبَادَتُهُ، كَمَا لِلْجَوَارِحِ عِبَادَاتُهَا، وَعَلَى الْمُسْلِمِ -الضَّيِّقِينَ بِدِينِهِ الشَّحِيحِ بَيِّقِينَ- أَنْ
يَكُونَ عَارِفًا ذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَامِلًا بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا
فِيهِ، حَتَّى يَقْبَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يَقْبَلُ عِنْدَ اللهِ حَتَّى
يَكُونَ خَالِصًا وَحَتَّى يَكُونَ صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: أَنْ
يَكُونَ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ [١].

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النُّوعَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ وَالثَّلَاثَ عَشَرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَذَكَرَ دَلِيلَهُمَا، فَقَالَ: «وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ»، فَهَاتَانِ عِبَادَتَانِ: «وَدَلِيلُهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]».

وَالرَّغْبَةُ: مَحَبَّةُ الْوَصُولِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ، وَالرَّغْبَةُ تَتَوَلَّدُ مِنَ الرَّجَاءِ، لَكِنَّهُ طَمَعٌ، وَهِيَ سُلُوكٌ وَطَلَبٌ، وَالرَّغْبَةُ تَكُونُ إِلَى اللَّهِ بِالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، فَمَنْ رَغِبَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْدِيمِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى.

وَالرَّهْبَةُ: الْخَوْفُ الْمَثْمُرُ لِلْهَرَبِ مِنَ الْمَخُوفِ؛ فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِعَمَلٍ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا هَرَبَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ؛ فَإِنَّ مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ هَرَبَ إِلَيْهِ. ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، الَّذِي يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ يَفِرُّ مِنْهُ إِلَّا اللَّهُ؛ مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ فَرَّ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الَّذِي لَا يَخَافُ اللَّهَ **عَظِيمًا** فَإِنَّهُ لَا يَفِرُّ إِلَيْهِ، الَّذِي يَخَافُ اللَّهَ **عَظِيمًا** يَفِرُّ إِلَى رَبِّهِ وَيَلْتَجِئُ إِلَيْهِ وَيَفِرُّ إِلَيْهِ.

وَهَذَا وَاللَّهُ عَجِيبٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَاللَّهُ **عَظِيمًا** أَرْحَمُ بَنَا مِنْ أُمَّهَاتِنَا، وَمِنْ أَنْفُسِنَا الَّتِي بَيْنَ جُنُوبِنَا، وَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ إِلَّا هَالِكٌ؛ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ عِبَادَ اللَّهِ.

الرَّهْبَةُ وَالرَّهْبُ: مَخَافَةٌ مَعَ تَحَرُّزٍ وَاضْطِرَابٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَأْتِي فَارْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، فَيَجِبُ أَنْ تَرَهَّبَ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ قَدَّمَ الْمَعْمُولَ فَجَعَلَ ذَلِكَ =

وَالتَّائِلَةُ [١].

= حَصْرًا كَمَا تَرَى فَلَا يُرْهَبُ سِوَاهُ.

الرَّهْبَةُ عِبَادَةٌ فَيَجِبُ أَنْ تَرْهَبَ اللَّهَ وَتَخَافَ مِنَ اللَّهِ وَتَخْشَى اللَّهَ، وَيَجِبُ أَلَّا تَرْهَبَ الْمَخْلُوقِينَ رَهْبَةً تَجْعَلُهُمْ فِي مِثْلِ رَهْبَتِكَ رَبَّكَ؛ فَلَا تَتْرُكْ طَاعَةَ اللَّهَ رَهْبَةً مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

الرَّهْبَةُ وَالرَّغْبَةُ عِبَادَتَانِ يَجِبُ صَرْفُهُمَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ؛ حَرَّرَهُمَا! تَأَمَّلْ فِيهِمَا! اعْمَلْ بِهِمَا بَعْدَ أَنْ تَعْتَقِدَهُمَا، وَارْهَبْ وَارْغَبْ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ، وَكُنْ لِلَّهِ خَاشِعًا.

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النُّوعَ الرَّابِعَ عَشَرَ وَقَالَ: «وَالتَّائِلَةُ»، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌُ وَحِيدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

التَّائِلَةُ: التَّعَبُّدُ، وَيُطْلَقُ أحيانًا وَيُرَادُ بِهِ الْمَحَبَّةُ، وَهَذَا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ فَالْأُلُوْهِيَّةُ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا يُجُوزُ أَنْ يُتَّخَذَ مَعَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُؤَلَّهَ وَيُحَبُّ وَيُعْبَدُ مَعَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَهَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَى حَقِّ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، فَهَذَا مُطْلَقُ حَقِّ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَنْبَغِي أَلَّا يُصْرَفَ لِسِوَاهُ؛ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَأَنْ يُوَحِّدُوهُ وَأَلَّا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، هَذَا حَقُّهُ، وَيَنْبَغِي أَلَّا يُعْتَدَى عَلَى حَقِّ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْمَخْلُوقُ إِذَا اعْتَدَى عَلَى حَقِّهِ وَكَانَ حَرًّا لَا يَقْبَلُ الضَّيْمَ فَإِنَّهُ لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يُغَمَّضُ لَهُ جَفْنٌ حَتَّى يَأْخُذَ حَقُّهُ، وَهَذَا فِي الْمَخْلُوقِ، وَالْخَالِقُ الْعَظِيمُ الْبَرُّ =

= الرحيمُ حقُّهُ أنْ يَعْبُدَهُ الْخَلْقُ وَحْدَهُ، وَالْأَ يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حقُّهُ أنْ يُعْبَدَ وَأَنْ تُصْرَفَ جَمِيعُ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، يَعْنِي: أَلُوْهِيَّتُهُ فِي السَّمَاءِ كَمَا أَلُوْهِيَّتُهُ فِي الْأَرْضِ، يَأْلَهُهُ النَّاسُ وَيَعْبُدُونَهُ، وَيَذُلُّونَ لَهُ وَيُحْبُونَهُ، أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى سَوَاءٍ، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾، كَمَا تَقُولُ: الْمَلِكُ أَمْرُهُ فِي مَكَانِهِ وَأَمْرُهُ فِي سَائِرِ مَمْلَكَتِهِ.

وَهُوَ مَلِكٌ فِي مَحَلِّهِ وَمَلِكٌ فِي سَائِرِ مَحَالِّ مَمْلَكَتِهِ؛ اللَّهُ **عَبْدُ** أَلُوْهِيَّتُهُ فِي السَّمَاءِ وَأَلُوْهِيَّتُهُ فِي الْأَرْضِ؛ يَأْلَهُهُ النَّاسُ؛ يَعْبُدُونَهُ.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيْبَةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالَّتِي لِأَجْلِهَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ وَبَيَّنَّ الْأَنْبِيَاءَ.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ لِأَجْلِهَا قَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ.
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ مِنْ أَجْلِهَا يُقِيمُ اللَّهُ السَّاعَةَ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وَتُطَاوَرُ الصُّحُفُ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامٍ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ عَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ وَبِهَا بُعِثَ جَمِيعُ الرُّسُلِ؛ فَمَا مِنْ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَّا وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ؛ بِصَرْفِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، =

وَالرُّكُوعُ، وَالسُّجُودُ [١].

= وهي أولُ مأمورٍ به وأعظمُ أمرٍ أمرَ الله ربُّ العالمين به، وجميعُ الرسلِ جاءوا أقوامهم يقولون: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فجميعُ الرسلِ بعثوا بالنفي والإثبات؛ لا إله إلا الله، فهذا ما جاء به جميعُ المرسلين وبه جاء محمدٌ الأمين ﷺ؛ فالتألهُ والعبادةُ حقُّه ينبغي ألا يُصرفَ لسواه.

[١] ثم ذكر الإمام -رحمه الله تعالى- النوعين الخامس عشر والسادس عشر من أنواع العبادة فقال: «والرُّكُوعُ والسُّجُودُ» وذكر دليلهما فقال: «ودليلُ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ قولُهُ تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].»

فأمر الله ربُّ العالمين بالركوع والسجود له وحده؛ والركوع عبادة لا تكون لغير الله؛ فلا يركع أحدٌ لأحدٍ ولا ينحني أحدٌ لأحدٍ تعظيماً؛ فالانحناء على وجه الذلِّ والتعظيم لمن انحنى له ركوعٌ لغير الله، والسجود عبادة لا تكون لغير الله، لا يسجد للصنم، ولا يسجد للقبر، ولا يسجد للضريح، ولا لأحدٍ من البشر؛ وقد أخرج أحمد وابن أبي شيبه من حديث معاذٍ رضي الله عنه: عندما قدم المدينة فأراد أن يسجد للنبي ﷺ، وكان رأى الفرس والروم يعظمون ملوكهم فيسجدون لهم فمنعه النبي ﷺ، وقال: «لو كنتُ أمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقُّه عليها»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧/٥)، وابن أبي شيبه (٣٠٥/٤) من حديث معاذٍ رضي الله عنه، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٩٩٨).

وَالْخُشُوعُ [١].

= فالسجود لا يكون لغير الله أبداً، ولا لرسول الله ﷺ فكيف بمن دونه؟! السجود لا يكون إلا لله، لا يسجد لصنم، ولا يسجد لقبر ولا لضريح، ولا لولي، ولا لنبي؛ وإنما يسجد لله رب العالمين ويركع.

[١] ثم ذكر الشيخ الإمام - رحمه الله تعالى - النوع السابع عشر من أنواع العبادة فقال: «وَالْخُشُوعُ»، وذكر دليلاً فقال: «ودليل الخشوع قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩]».

الخشوع: قيام القلب بين يدي الرب تعالى بالخضوع والذلة والجمعية عليه، ومن علاماته: أن العبد إذا خولف، أو ردَّ عليه بالحق؛ استقبل ذلك بالقبول والانقياد.

والخشوع: محلُّ القلب، وثمرته على الجوارح فهي تظهره.

والخشوع: الذلُّ والتطامن لعظمة الله؛ بحيث يستسلم لقضائه الكوني ولقضائه الشرعي؛ لقضائه الكوني الذي يجري عليه بما يؤلمه أحياناً، وبما يلائمه أحياناً أخرى؛ فلا يعترض على القدر لا ظاهراً ولا باطناً، لأنَّ الدين: هو فعل المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور؛ هذا هو الدين، هذا هو ما جاء به سيد المرسلين: فعل المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور. =

= وهذا المقدور كما ترى يكون غير مواتٍ ولا مُلائم أحياناً؛ فيجبُ على العبد أن يصبرَ على قدرِ الله فيه، وليعلمَ أن ما قدره الله عليه مما لا يُلائمهُ ليس مقصوداً لذاته، يعني: مَنْ قُدِّرَ عليه الفقر؛ لم يُقَدَّر عليه الفقرُ لقصدِ الفقرِ غايةً، ومَنْ قُدِّرَ عليه المرضُ؛ لم يُقَدَّر عليه المرضُ لقصدِ المرضِ غايةً، وإنما قُدِّرَ عليه ذلك لاستخراجِ ردِّ فعلِهِ على قدرِ الله فيه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ عِنْدَمَا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرِ تَبَكَّى. فَقَالَ: «يَا أُمَّةَ اللَّهِ اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمِثْلِ مُصِيبَتِي، فَمَضَى ﷺ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا، فَقِيلَ لَهَا: وَيْحَكَ، هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَتْ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِهِ، فَلَمَّا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ اسْتَأْذَنْتْ عَلَيْهِ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﷺ فَلَمَّا دَخَلَتْ مَأْذُونًا لَهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَعْرِفَكَ، قَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى»^(١). إِذَنْ مَا يُقَدَّرُ عَلَيْكَ مِمَّا لَا يُلَائِمُكَ إِنَّمَا هُوَ لَاسْتِخْرَاجِ رَدِّ فَعْلِكَ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ فِيكَ؛ هَذَا هُوَ.

وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَا أُصِيبَ بِمَا يَكْرَهُ مِمَّا قُدِّرَ عَلَيْهِ مِمَّا لَا يُلَائِمُهُ وَهُوَ جَارٍ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ الْعُلْيَا سُبْحَانَهُ، الْعَبْدُ إِذَا مَا أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ، وَالصَّبْرُ: أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَى الْقَدَرِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْقَلْبِ بَاطِنًا، وَأَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ بِاللِّسَانِ بِالْقَوْلِ ظَاهِرًا، وَأَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ بِالْجَوَارِحِ =

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

= بِفَعْلٍ مَا يُغْضِبُ الرَّبَّ - جَلَّ وَعَلَا - ؛ فَإِذَا مَا صَبَرَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَذَلِكَ هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وإذا قُدِّرَ عليه ما يكرهه مما لا يلائمه بحكمة الله؛ فليعلم أنه إن لم يصبر صَبَرَ الكرام فسيصبر صَبَرَ اللئام وسيسلو سلو البهائم، ومن لا يصبر صَبَرَ الكرام سيسلو سلو البهائم، فاللهم غفرا يا أرحم الراحمين.

ذكر الشيخ الخشوع، يستسلم العبد لقضاء الرب الكوني ولقضاءه الشرعي، ولم يُقدَّر ربنا - تبارك وتعالى - علينا إلا الخير سبحانه شرعا وكونا؛ ولله الحمد والمِنَّة.

الخشوع: الانخفاض وعدم الترفع، وهو نوع من أنواع العبادة، وهذه فيها الثناء؛ أي: في هذه الآية التي مرَّ ذكرها، فيها الثناء على مؤمني أهل الكتاب الذين أسلموا وهم مُتَّصِفُونَ بهذه الصفة ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، بهذه الصفة قد اتصفوا فلا يخشعون لغيره، سبحانه، ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ﴾، لا يخشعون لسواه.

وَالْتَذَلُّ، وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ [١].

[١] ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- النَّوعَ الثَّامِنَ عَشَرَ وَالنَّوعَ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ فَقَالَ: «وَالْتَذَلُّ، وَالتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ».

وَالْتَذَلُّ: التَّخَشُّعُ، وَإِعْطَاءُ الذُّلِّ مِنَ النَّفْسِ وَالْجَوَارِحِ، وَالانْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً﴾ [الإنسان: ١٤]؛ أَي: سُهِّلَتْ. وَقَدْ مَرَّ أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ غَايَةُ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ تَدُورُ عَلَى هَذَيْنِ الْقُطْبَيْنِ؛ وَهُمَا: كَمَالُ الْحُبِّ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ	مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ	مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرٌ رُسُولِهِ	لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وَالْتَذَلُّ عِلَامَةٌ اِمْتِلَاءِ الْقَلْبِ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَمَنْ عَرَفَ رَبَّهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْمُثَلَّى مَعْرِفَةً صَحِيحَةً خَضَعَ قَلْبُهُ وَخَشَعَ كَيَانُهُ، وَانْقَادَ لِفَاطِرِهِ بِتَعْظِيمِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

ثُمَّ خَتَمَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا بِقَوْلِهِ: «وَالْتَّعْظِيمُ الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ».

= وَالتَّعْظِيمُ تَابِعٌ لِلْمَعْرِفَةِ، فعلى قَدْرِ المعرفة يكون تعظيمُ الرَّبِّ تعالى في القلب، وأعرفُ النَّاسِ به أشدُّهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذمَّ الله مَنْ لم يُعْظِمْهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، ولا عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، ولا وَصَفَهُ حَقَّ صِفَتِهِ، فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رحمته الله، ومُجَاهِدٌ، والضَّحَّاكُ في تفسيريها: «مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ تعالى عَظْمَةً».

وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا خَلَا أَحَدُهُمَا عن الآخرِ؛ فَسَدَّتِ العبوديَّةُ، فإذا اقترنَ بهذينِ الشَّئِئِ على المحبوبِ المعظَّمِ، فذلك حقيقةُ الحَمْدِ. **والتَّعْظِيمُ: معرفةُ العظمةِ مع التَّذَلُّلِ لَهَا.**

وَلَا يَسْتَقِيمُ الْقَلْبُ إِلَّا بِشَيْئَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أن تكونَ مَحَبَّةُ اللَّهِ تعالى تَتَقَدَّمُ عنده على جَمِيعِ المَحَابِّ.

والثاني: تعظيمُ الأمرِ والنهي، وهو ناشئٌ عن تعظيمِ الأمرِ الناهي، وأوَّلُ مراتبِ تعظيمِ الحقِّ وَعَلَّاهُ: تعظيمُ أمرِهِ ونهيهِ.

وتعظيمُ المؤمنِ لأمرِ اللَّهِ تعالى ونهيهِ دالٌّ على تعظيمِهِ لصاحبِ الأمرِ والنهي، ويكونُ بحَسَبِ هَذَا التَّعْظِيمِ مِنَ الْأَبْرَارِ المشهودِ لَهُمُ بالإيمانِ والتَّصَدِيقِ، وَصِحَّةِ الْعَقِيدَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ، فعبادةُ التَّعْظِيمِ مِنْ خِصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ وَصَرَفُهَا لِغَيْرِ اللَّهِ شُرْكٌ.

وَنَحْوُهَا [١]، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ غَيْرُهُ [٢].

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا أَجَلُ أَمْرِ اللَّهِ بِهِ؟

قِيلَ: تَوْحِيدُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ [٣].

[١] أي: ومثل هذه الأنواع التي ذَكَرَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

[٢] لِأَنَّهَا كُلُّهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ؛ فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا نَوْعًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُشْرِكًا بِاللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ شِرْكًا أَكْبَرَ، مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ يَكُونُ مُشْرِكًا لَا يُغْفَرُ لَهُ اللَّهُ إِنْ مَاتَ، لَا يُغْفَرُ لَهُ اللَّهُ إِنْ مَاتَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُتُوبَ مِنْهُ، مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا فَلَا غُفْرَانَ، وَلَا يُغْفَرُ لَهُ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنَ الشِّرْكِ بِشُرُوطِهَا.

كثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَيَصْرِفُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَطْلُبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مَا لَا يَطْلُبُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ؛ يَطْلُبُونَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، مِنَ الْجِنِّ، مِنَ الشَّيَاطِينِ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَرْجُونَ، وَيَخَافُونَ، وَيَرْهَبُونَ، وَيَرْغَبُونَ، وَيَجِبُونَ عَلَى طَرِيقَةِ مَخَالِفَةِ تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْبَغِي صَرْفُهُ إِلَّا لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -؛ فَحَرَّرَهُ، هَدَانِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

[٣] فَأَجَلُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ؛ فَالتَّوْحِيدُ أَعْظَمُ الْمَأْمُورَاتِ؛ التَّوْحِيدُ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَعْظَمُ مِنَ الزَّكَاةِ، التَّوْحِيدُ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ الرُّسُلُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، كَانُوا =

= يَدْعُونَ أَوَّلَ مَا يَدْعُونَ أَقْوَامَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، فَالتَّوْحِيدُ يَبْدَأُ بِهِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُرْسَلِينَ، كَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ فِي الصَّحِيحِينَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ؛ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ ثُمَّ تُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ»^(١).

فَانظُرْ كَيْفَ بَدَأَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، يَعْنِي: إِلَّا لِيُوحِّدُونِي بِعِبَادَتِي، وَصَرَفَ الْعِبَادَةَ لِي وَحْدِي.

وَلِذَلِكَ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ إِمَامُ الْعُلَمَاءِ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتَوَةٍ؛ أَي: بِرَمِيَةِ حَجَرٍ، عَلَّمَهُ كَيْفَ يَبْدَأُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فَقَالَ لَهُ: «تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

فَيَا عَبْدَ اللَّهِ، إِذَا دَعَوْتَ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِذَا كُنْتَ لِلَّهِ دَاعِيًا فَحَرِّزْ طَرِيقَ الْمُرْسَلِينَ، وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

التَّوْحِيدُ: إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ.

=

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

= وهو ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

توحيد الربوبية: هو إفراد الله ﷻ بالخلق والمُلك والتدبير.

وتوحيد الألوهية: إفراد الله سبحانه بالعبادة؛ ألا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبدُهُ ويتقربُ إليه كما يُعبدُ الله تعالى ويتقربُ إليه.

وتوحيد الأسماء والصفات: إفراد الله سبحانه بما سَمِيَ به ووصفَ به نفسه في كتابه أو على لسانِ رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبتَهُ ونفي ما نفاه من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غير تكيفٍ ولا تمثيلٍ؛ وهي طريقة أهل السنة؛ يُجرون النصوص على ظاهرها اللائق بها؛ نعم، على ظاهرها الذي يفهمه الذهن السليم، كما فهم ذلك النبي الكريم ﷺ، وفهم ذلك أصحابه -رضوان الله عليهم-، فلم يستشكلوا وهم أصحاب السليقة اللغوية ظاهر النصوص، بل فهموا ظاهر النصوص فهمًا يليق بالله -جلّ وعلا-.

وهذه قاعدة في أدلة الأسماء والصفات، نعم، مرَّ عليهم نصوص الصفات في الكتاب والسنة ولم يستشكلوا من ذلك شيئًا، مرَّ عليهم في سبعة مواضع في القرآن العظيم أن الله استوى على عرشه، ومن ذلك: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، فلم يقولوا للنبي ﷺ: كيف استوى؟ ولم يستشكلوا ذلك، وهم أصحاب السليقة؛ لأنهم يعلمون أن الصفة تكون على قدر الذات، الصفات على قدر الذوات، وذات ربنا ليس كمثليها ذات؛ فصفات ربنا ليس =

= كَمِثْلَهَا صِفَاتٌ، فَأَثْبَتُوا لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ ظَاهَرَ ذَلِكَ مُرَادٌ فَفَهِمُوهُ؛ فَفَهِمُوا الْمَعْنَى وَفَوَضُّوا الْكَيْفِيَّةَ.

وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ الْمُبْتَدِعَةُ: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُفَوَّضَةٌ!! بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا نَفْهَمُ الْمَعْنَى الظَّاهِرَ الْمَكْشُوفَ وَأَنَّا نَفَوِّضُ الْمَعْنَى وَالْكَيفِيَّةَ جُمْلَةً إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّ نُصُوصَ الصِّفَاتِ لَا مَعْنَى لَهَا، فَيَتَّهِمُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ كَلَّمَهُ بِمَا لَمْ يَفْهَمُوهُ، وَيَتَّهِمُونَ الصَّحَابَةَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا كَلَامَ اللَّهِ وَلَا كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَعْظَمِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ التَّوْحِيدِ، فِي أَعْظَمِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الدِّينِ، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا-.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، وَأَنْزَلَ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ قَدَرًا وَشَرْعًا، فَبَيْنَ لَنَا رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْغَايَةَ لِهَذَا الْخَلْقِ وَلِهَذَا التَّدْبِيرِ، فَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، قَدَرًا وَشَرْعًا؛ فَخَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ مِثْلَ ذَلِكَ عَدَدًا لَا كَيْفِيَّةً وَهَيْئَةً، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، جَعَلَ الْأَمْرَ الْقَدَرِيَّ وَالْأَمْرَ الشَّرْعِيَّ مُتَنَزِّلًا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لِمَاذَا؟

﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فَخَلَقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ وَجَعَلَ الْأَمْرَ الْقَدَرِيَّ وَالشَّرْعِيَّ مُتَنَزِّلًا بَيْنَهُنَّ؛ كُلَّ ذَلِكَ جَعَلَهُ ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. =

= ليس كما يزعمُ المبتدعةُ والذين يُميِّعون الديانةَ من أنَّ أهلَ السُّنَّةِ يُنفقونَ الأوقاتَ في معرفةِ الأسماءِ والصفاتِ ويُضيِّعونَ الأعمارَ في هذهِ الأبوابِ، ألا شَهِتَ الوُجُوهُ، بل لِأَجْلِ ذَلِكَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ مُتَنَزِّلًا قَدَرًا وَشَرْعًا بَيْنَهُنَّ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ عَلَى التَّعْلِيلِ ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ: إفرادُ اللَّهِ ﷻ فيما سَمَّيَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ بِإِثْبَاتِ مَا أُثْبِتَهُ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْوَاسِطِيَّةِ» وَغَيْرِهَا، وَقَرَّرَهُ قَبْلَهُ عُلَمَاؤُنَا فِي كُتُبِ السُّنَّةِ الْمَحَرَّرَةِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -.

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ الْخُصُومَةَ إِنَّمَا وَقَعَتْ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْمِهِ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ لَا فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا يَدَّعِي ذَلِكَ أَقْوَامٌ يَكْتَفُونَ عِنْدَ عَرْضِ التَّوْحِيدِ عَلَى النَّاسِ بِإِثْبَاتِ أَنَّ الرَّبَّ - جَلَّ وَعَلَا - هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقَ الْخَلْقَ، يَتَّبِعُونَ ذَلِكَ تَتَبُّعًا.

وَالْمَشْرُكُونَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ لَمْ يُنَازِعُوا فِي ذَلِكَ، بَلْ كَانُوا يُقَرُّونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَيَشْرِكُونَهَا مَعَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. =

وَأَعْظَمُ نَهْيٍ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ: الشِّرْكَ بِهِ، وَهُوَ: أَنْ يَدْعَوْا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ [١].

= هُوَ لَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ سَأَلَهُمْ لَأَجَابُوا بِأَنَّهُمْ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ خَالِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

فَتَحْرِيرُ مَوْطِنِ النَّزَاعِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْمِهِ مُهِمٌّ جَدًّا، مَوْطِنُ النَّزَاعِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْمِهِ، وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَقْوَامِهِمْ: فِي صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، إِلَيَّ هَذَا دَعَا الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا أَقْوَامُهُمْ فَأَبَى الْمُعَانِدُونَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَصْرِفُوا الْعِبَادَةَ كُلَّهَا أَوْ أَلْوَانًا مِنْهَا لغيرِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، هَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْخُصُومَةُ؛ فَحَرَّرَهُ، هَدَانِي وَإِيَّاكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

[١] أَعْظَمُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ: الشِّرْكَ، أَعْظَمُ مَنْهِيٍّ عَنْهُ الشِّرْكَ؛ الشِّرْكَ أَعْظَمُ مِنَ الزِّنَا، وَالشِّرْكَ أَعْظَمُ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَالشِّرْكَ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ، الشِّرْكَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ بِهِ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-.

الشِّرْكَ هُوَ أَعْظَمُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اعْتَدَاءٌ عَلَى حَقِّ الرَّبِّ -جَلَّ وَعَلَا- لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ حَقُّهُ أَنْ يُعْبَدَ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِذَا فَرَّطَ الْإِنْسَانُ فِي ذَلِكَ فَرَّطَ فِي أَعْظَمِ حُقُوقِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ رَبُّنَا: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. =

= وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، إِلَى آيَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي كِتَابِهِ - جَلَّ وَعَلَا - تُبَيِّنُ خَطَوْرَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ: «أَعْظَمُ الذَّنْبِ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ»^(١).

وَإِي وَاللَّهِ! إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَقْبَلُ لِنَفْسِهِ مِنْ خَادِمِهِ أَنْ يُؤْتَى خَيْرُهُ وَيَخْدُمَ غَيْرُهُ، وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مِنْ مَمْلُوكِهِ أَنْ يَأْكُلَ خَيْرُهُ وَيَخْدُمَ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ، وَلَمْ يَكْسُهِ، وَلَمْ يُطْعِمْهُ، وَلَمْ يَخْلُقْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ هُوَ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مِنْ مَمْلُوكِهِ وَلَا مِنْ خَادِمِهِ هَذَا، وَيَرْضَى لِرَبِّهِ مِنْ نَفْسِهِ هَذَا، هَذِهِ وَاللَّهِ قِسْمَةٌ ضَمِيرِي، هَذِهِ قِسْمَةٌ جَائِرَةٌ؛ إِذْ يَرْضَى الْعَبْدُ لِرَبِّهِ مِنْ نَفْسِهِ مَا لَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ مِنْ خَادِمِهِ وَعَبْدِهِ أَوْ مَمْلُوكِهِ؛ فَهَذَا وَاللَّهِ هُوَ الظُّلْمُ الْمُبِينُ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْظَمُ الذَّنْبِ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ»، وَالشَّرْكُ نَوَعَانِ:

أَكْبَرُ: وَهُوَ كُلُّ شَرِكٍ أَطْلَقَهُ الشَّارِعُ وَكَانَ مُتَضَمِّنًا لَخُرُوجِ الْإِنْسَانِ مِنْ دِينِهِ؛ عِيَاذًا بِاللَّهِ وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الرَّحِيمِ.

وَأَصْغَرُ: وَهُوَ كُلُّ عَمَلٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الشَّارِعُ وَصَفَ الشَّرْكَ، وَلَكِنَّهُ لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ.

=

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٧٧)، وَمُسْلِمٌ (٨٦) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ اتَّخَذَهُ رَبًّا
وَالِهًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، أَوْ يَقْصِدُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ
مِنَ الْآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنْكَرَهُ عَلَى
الْمُشْرِكِينَ [١]. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وَقَالَ
تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٢] [المائدة: ٧٢].

= وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَحْذَرَ هَذَا وَهَذَا غَايَةَ الْحَذَرِ؛ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَنَا
مِنْهَا مَعًا، وَأَنْ يُزَيِّنَنَا بِالتَّوْحِيدِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
[١] فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ اتَّخَذَهُ مَعْبُودًا
وَالِهًا، سَوَاءٌ كَانَ مِنَ الْأَمْوَاتِ أَوْ الْغَائِبِينَ أَوْ مِنَ الْأَحْيَاءِ الْحَاضِرِينَ؛
فَالْعِبَادَةُ لَا تَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ [الزمر: ٦٦]،
أَي: لَا تَعْبُدْ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ.

وَالنِّزَاعُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَوْمِهِ كَانَ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوْهِيَّةِ فِي صَرْفِ الْعِبَادَةِ
لِغَيْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِصَرْفِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا،
دِقِّهَا وَجَلِيلِهَا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَهُمْ يَأْبُونَ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ- إِلَّا أَنْ يَصْرِفُوا أَلْوَانًا مِنْهَا لِغَيْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَلِهَتِهِمُ الَّتِي
كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَوْ يَعْبُدُونَهَا مَعَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
[٢] فِهَذَا فِي حَقِّ مَنْ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ شِرْكِهِ، وَأَمَّا مَنْ تَابَ مِنَ الشِّرْكِ =

= وَمِنَ الْكُفْرِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ.

وَقَدْ رَغِبَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ النَّاسَ فِي التَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ كُفْرًا وَشِرْكًَا، فَمَنْ تَابَ مِنْ كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتُوبُ عَلَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، وَهَذِهِ فِي حَقِّ مَنْ تَابَ.

مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا بِاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ، وَأَمَّا مَنْ مَاتَ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِاللَّهِ وَآتَى بِالذُّنُوبِ دُونَ الشِّرْكِ؛ فَهُوَ فِي الْمَشِئَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، هَذِهِ فِي حَقِّ مَنْ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ شِرْكِهِ.

فَلَا تَضْرِبِ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَمَنْ آتَى بِذَلِكَ أَمَامَهُ فَادْفَعْ فِي وَجْهِهِ بِالْحُجَّةِ، أَوْ فَادْفَعْ فِي قَفَاهُ إِنْ شِئْتَ وَقَدْ أَحْسَنْتَ، ادْفَعْ فِي قَفَاهُ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْجِهَةَ مُنْفَكَّةٌ؛ لَأَنْهُمْ يَأْتُونَ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَلَمْ يَفْهَمُوهَا.

الْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ؛ نَزَلَ بِقَانُونِ الْعَرَبِيَّةِ فَتَزَلَّ قُرْآنًا عَرَبِيًّا مُبِينًا، وَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا قُرْآنَهُ، وَنَطَقَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ وَعَلَيْهِ فَيَنْبَغِي عَلَى كُلِّ سَلَفِيٍّ صَحِيحٍ فِي انْتِمَائِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي اللُّغَةِ مُشَارَكَةٌ؛ نَعَمْ؛ لِأَنَّهُ لَنْ تَصِحَّ لَهُ دِيَانَتُهُ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ حَتَّى يَفْهَمَ كَلَامَ اللَّهِ وَكَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَهْمِ اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْكِتَابُ، وَنَطَقَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ. =

= ولذلك قال ابن هُبَيْرَةَ، وَقَدْ اسْتَشْكَلَ ذَلِكَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ
قَالَ: مَنْ سَأَلَكَ فِي الدِّيَانَةِ وَزَادَ عَلَيْكَ فِي اللُّغَةِ ارْتَفَعَ عَلَيْكَ فِي الْجَنَّةِ إِنْ
دَخَلْتُمَا الْجَنَّةَ مَنْزِلَةً، ارْتَفَعَ عَلَيْكَ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ مَنْ اسْتَشْكَلَ مِنْ حَضَرٍ
مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: إِنَّهُ مَنْ سَأَلَكَ فِي التَّقْوَى وَالْعَمَلِ وَزَادَ عَلَيْكَ فِي اللُّغَةِ فَقَدْ زَادَ عَلَيْكَ
فِي الْفَهْمِ وَمَعْرِفَةِ مُرَادِ رَبِّنا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْ كِتَابِهِ، وَمَعْرِفَةِ مُرَادِ نَبِيِّنا ﷺ مِنْ
سُنَّتِهِ، وَهِيَ الْوَحْيُ الثَّانِي، كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ الْإِمَامُ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - : «نَأْخُذُ
كِتَابَ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَنَأْخُذُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وَهَذَا أَحَدُ الْإِعْتِبَارَاتِ الَّتِي نُرْجِعُ فِيهَا هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ إِلَى سَلَفِنَا
الصَّالِحِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ السَّلِيْقَةِ
اللُّغَوِيَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مُرَادَ اللَّهِ مِنْ كَلَامِهِ، وَيَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ
بَيَانِهِ ﷺ.

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَ كِتَابَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا مُبِينًا؛ فَمَنْ أَتَى بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ
يَسْتَشْكَلُ عَلَيْكَ فَادْفَعْ بِالْحُجَّةِ فِي قَفَاهُ وَلَا كَرَامَةً؛ فَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ
فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، ثُمَّ يَقُولُ فِي آيَةٍ أُخْرَى:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، فَقُلْ لَهُ: تَحَسَّبُ كُلَّ
آيَةٍ كَكُلِّ آيَةٍ؟ فَإِنْ قَالَ لَكَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: الْجِهَةُ مُنْفَكَّةٌ، فَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ =

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ [١].

= يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴿١﴾، هَذِهِ فِي حَقِّ مَنْ تَابَ وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ وَجَاءَ بِهَا مُسْتَوْفِيَةً شُرُوطَهَا. فَهَذَا يُتَوَبُّ اللَّهُ عَلَيْهِ، بَلْ إِنَّ أَحْسَنَ وَعَمَلٍ عَمَلًا صَالِحًا؛ بَدَّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، فَهَذِهِ فِي هَذِهِ فَتَعَقَّلْ.

وَأَمَّا الْأُخْرَى ففِي حَقِّ مَنْ مَاتَ مُذْنِبًا بِدُونِ الشَّرِكِ، أَوْ بِهَا هُوَ دُونَ الشَّرِكِ؛ فَمَنْ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ إِنْ كَانَ مُشْرِكًا، لَا يُغْفَرُ لَهُ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ شَرِكِهِ فَلَا يُغْفَرُ لَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، فَهَذِهِ فِي حَقِّ مَنْ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ، يَعْنِي مِنْ شَرِكِهِ.

وَأَمَّا مَنْ مَاتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ فِيمَا هُوَ دُونَ الشَّرِكِ، فَهُوَ فِي الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

فَتَأْمَلْ فِي كَلَامِ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِأَعْلَى وَأَثْمَنُ مِنْ شَذَرَاتِ الْبِلَاتَيْنِ، أَيُّ بِلَاتَيْنِ هَذَا؟! هَذَا كَلَامُ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ، عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ؛ فَاعْرِفْهُ، وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ؛ تَزِدْ هُدًى وَيُنِيرُ اللَّهُ قَلْبَكَ، وَيُفْسِحُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَفْقِ عَقْلِكَ، حَتَّى تَفْقَهُ عَنْ رَبِّكَ، وَتَعْقِلَ عَنْ نَبِيِّكَ ﷺ.

الشَّرِكُ أَكْبَرُ الذُّنُوبِ وَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ.

[١] فَخَتَمَ الرِّسَالَةَ بِأَنْ أَرْجَعَ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَحْدَهُ، وَصَلَّى =

= وَسَلَّم عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

وهذا ما منَّ الله ربُّ العالمين به بحوله وقوته في هذا الشرح الوجيز على هذه الرسالة العظيمة، وهذا المتن الجليل من كلام هذا الحبر النبيل شيخ الإسلام الإمام، وهي الرسالة التي سماها: «الجامع لعبادة الله وحده». نسأل الله جلَّت قدرته وتقدَّست أسماؤه، أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يزيدنا علمًا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.



فهرس الموضوعات

٣	المقدمة.....
٦	متن الرسالة.....
١١	بداية الشرح.....
١١	شرح قول المصنّف: «بسم الله الرحمن الرحيم».....
١٣	شرح قول المصنّف: «الحمد لله رب العالمين».....
١٥	أصح ما قيل في الصلاة على النبي ﷺ.....
١٦	ما هو الجامع لعبادة الله وحده؟.....
١٨	ما هي أنواع العبادة التي لا تصلح إلا الله وحده؟.....
١٩	١- الدعاء.....
٢٢	٢- الاستعانة.....
٢٥	٣- الاستغاثة.....
٢٦	٤- الذبح.....
٢٧	٥- النذر.....
٢٩	٦- الخوف.....
٣٢	٧- الرجاء.....
٣٣	٨- التوكل.....

- ٩- الإنابة ٣٥
- ١٠- المحبة ٣٦
- ١١- الخشية ٤٠
- ١٢- الرغبة ٤٢
- ١٣- الرهبة ٤٢
- ١٤- التأله ٤٣
- ١٥- الركوع ٤٥
- ١٦- السجود ٤٥
- ١٧- الخشوع ٤٦
- ١٨- التذلل ٤٩
- ١٩- التعظيم ٥٠
- أجلُّ ما أمر الله به هو التوحيد ٥١
- أقسام التوحيد ٥٣
- أعظم ما نهى الله عنه هو الشرك ٥٦
- من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتَّخَذَهُ مَعْبُودًا وَإِلَهًا ٥٨
- لا تعارض بين قول الله: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وبين قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وتوجيه ذلك ٦٠-٦١
- خاتمة الرسالة ٦١-٦٢
- الفهرس ٦٣